ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

لا خلاص للفلسطينيين قبل إجلاء نتنياهو وقواعد أميركا العسكرية

د.عصام نعمان

الحربُ في فلسطين المحتلة مشهدية متعددة الجبهات تشمل الوطن العربي مشرقاً ومغرباً. المشرق عربيّ الهوية، لكنه غربيّ في واقعه السياسي والعسكري والاقتصادي. لا قرار بيد عرب الهوية. وحدهم عرب المقاومة يملكون الإرادة والقرار. الحرب في فلسطين المحتلة متواصلة بين عرب مقاومين ويهود صهاينة حشدهم الغرب الأوروبي من كلّ أصقاع

الدنيا ثم أورثهم للغرب الأميركي الذي منحهم ويمنحهم القدرةَ على تنفيذ سياسته بقدْر ما تسمح به مصالحه. هذا ما يستدعي انخراط الولايات المتحدة وبعض حلفائها الأوروبيين في وساطةٍ ديبلوماسية لتهدئة حرب الإبادة على الشعب الفلسطيني.

تسعى أو تتظاهر دول عدّة في هذه المرحلة بالعمل لوقف إطلاق النار في قطاع غزة بغية إدخال الماء والغذاء والدواء والوقود لمئات الآف الفلسطينيين المشرّدين في العراء، لا سيما في جنوب قطاع غزة. بنيامين نتنياهو وزمرته في الائتلاف "الإسرائيلي" الحاكم يرفضان، بمعرفة وموافقة الراعي الأميركي، وذلك لشراء المزيد من الوقت وتحقيق أغراض المرحلة الأخيرة من مخططه الحربي الوحشي وهي الضغط الشديد بكلّ الوسائل على آلاف النازحين الفلسطينيين المتجمّعين غرب مدينة رفح ووضع دول العالم، خصوصاً مصر، أمام خيارين: إنهاء وجود النازحين الفلسطينيين في جنوب قطاع غزة بتهجيرهم الى سيناء المصرية أو قتلهم جوعاً وعطشاً ومَرَضاً وبرداً.

ليس صحيحاً أنّ الولايات المتحدة جادة في الضغط على "إسرائيل" للقبول بهدنة تتيح إدخال المساعدات الإنسانية الى النازحين الفلسطينيين البؤساء. الدليل؟ مسارعة الرئيس الأميركي جو بايدن إلى وصف تعديلات حركة حماس على عرض الوساطة المقدّم نتيجةَ توافق ممثلي أجهزة المخابرات المصرية والقطرية والفرنسية والأميركية بقوله: "هذه مطالب مبالغ فيها". ردُّ بايدن هذا صدر قبل إعلان نتنياهو رفضه العرض ذاته! لكن إزاء تصاعد عمليات المقاومة في لبنان ضدّ المستعمرات الإسرائيلية في شمال فلسطين المحتلة، وعمليّات المقاومة ضدّ القواعد العسكرية الأميركية في العراق وسورية والأردن، وعمليات المقاومة في اليمن ضدّ البواخر المتوجهة الى موانئ "إسرائيل" على البحر الأحمر، ورفض مصر تهجير الفلسطينيين الى سيناء، ذلك كله حَمَل بايدن على تلطيف لهجته بوصفه ردّ "إسرائيل" على المقاومة في غزة بأنه "تجاوزَ كلّ حدّ".

ربما يُضطر نتنياهو تحت وطأة الضغوط السياسية وإخفاقات جيشه إلى القبول بهدنة مؤقتة في قطاع غزة لا تشمل الضفة الغربية أو منطقة الحدود مع لبنان، حيث تحول عمليات المقاومة ضدّ المستعمرات الإسرائيلية في الجليل الأعلى دون عودة نحو مئة ألف من المستوطنين الى منازلهم. مع العلم أنّ المقاومين في الضفة الغربية كانوا في حال اشتباكٍ متواصل مع قوات الاحتلال قبل اندلاع معركة طوفان الأقصى وسيواصلون الاشتباك معها حتى لو توقفت الحرب مؤقتاً، وانّ وزير الحرب الإسرائيلي يوآف غالنت سبق أن أكد جهاراً نهاراً أنّ وقف الحرب في قطاع غزة لا يعني بالضرورة وقفها ضدّ المقاومة في لبنان طالما أنّ المستوطنين في شمال فلسطين المحتلة غير قادرين على العودة الى منازلهم.

بات واضحاً انّ "إسرائيل" ستبقى في حال حربٍ مع الفلسطينيين وحلفائهم العرب في المشرق لسببين:

- الأول لأنها "تموت إذا توقّفت عن التوسع"، كما أوصاها بذلك مؤسسها ديفيد بن غوريون سنة ١٩٤٨ والتزم خلفاؤه من بعده تنفيذ هذه "الوصية" طوال السنين الـ ٧٥ الماضية.

- الثاني طوفان الأقصى الذي شكّل لها، حكومةً وجمهوراً، تهديداً وجودياً يستوجب مواجهةً سياسية وعسكرية متواصلة.

أكثر من ذلك، ازداد شعور الإسرائيليين عموماً بوجود خطر وجوديّ على كيانهم بعد اندلاع طوفان الأقصى وتجاوب شعوب الأمة بأشكالٍ عدّة مع كفاح المقاومة الفلسطينية وحلفائها.

لا غلوّ في القول إنّ طوفان الأقصى هو أعظم وأجدى حدث في تاريخ العرب المعاصر لكونه أيقظهم من سبات طويل، وفجّر في صفوفهم صحوةً ومقاومةً ستنتج مفاعيل نهضوية عظيمة. يكفي للتدليل على الفارق بين حال العرب قبل طوفان الأقصى وبعده إدراك ما سبق أن أكّده العالِم الأكاديمي المصري الدكتور شارل عيساوي في كتابه الموثّق الصادر سنة ١٩٩١ بعنوان "تأمّلات في التاريخ العربي" ومفاده أنه طيلة ألف سنة بعد بزوغ فجر الإسلام حكم بلاد العرب حكامٌ أجانب. فالفرنجة المعروفون خطأً باسم الصليبيين (وهم أوروبيون) حكمونا نحو ٢٠٠ سنة، والمماليك (وهم تُرك وكُرد وكُرج قفقازيون) حكمونا نحو ٣٥٠ سنة، والعثمانيون (وهم في غالبيتهم تُرك) حكمونا نحو ٤٥٠ سنة، والبريطانيون والفرنسيون والإيطاليون (وهم أوروبيون) حكمونا مباشرةً أو مداورةً نحو ١٠٠ سنة، فكان أن أنتجوا أو خلّفوا وراءهم حالةً من الركود والخنوع للنفوذ والمصالح الأجنبية حالت وتحول دون انتزاع استقلال العرب من مستعمريهم قروناً وأجيالاً.

الصحوةُ والنهوض الى الكفاح والتحرّر والعمل هي في منطلقها ومعظمها من فعل طوفان الأقصى، لا سيما في بلدان المشرق ما سيؤدّي إلى توليد مفاعيل إيجابية وازنة ليس في عالم العرب، وحسب بل في سائر أنحاء العالم. ولا أحسبني مبالغاً إذا قلت إنّ من أبرز تجلياتها في قابل الأيام ظاهرات خمس:

الأولى: استمرار "إسرائيل" في حربها الوحشيّة على الشعب الفلسطيني في كامل وطنه المحتلّ، الأمر الذي أدّى ويؤدي إلى تعميم المقاومة ضدّها وتعميقها في كلّ المناطق المحتلة، وتنامي الدعم اللوجيستي لها من العرب عموماً كما من إيران، وانعكاس ذلك سلباً على كيان الاحتلال فتتعمّق الخلافات العقيدية بين اليهود الاشكناز واليهود السفارديم، وبين الأحزاب السياسية الصهيونية المتناحرة ما يفضي عاجلاً او آجلاً الى اشتداد هجرة السكان، لا سيما مزدوجي الجنسية وحَمَلة جوازات السفر الأجنبية إلى مختلف دول أوروبا وأميركا. بذلك يبدأ تدريجاً أفول الكيان الصهيوني المحتلّ.

الثانية: تعاظم المقاومة في جميع بلدان المشرق، خصوصاً في العراق وسورية ولبنان واليمن ضدّ الولايات المتحدة الأميركية ما يؤدّي الى إجلاء قواعدها العسكرية من كل بلدان المشرق كما الجزيرة العربية.

الثالثة: تنامي قدرات إيران تكنولوجياً واقتصادياً وعسكرياً واتجاهها الى التحالف مع الصين وروسيا وتوسيع تعاونها معهما اقتصادياً ما يُضطر الولايات المتحدة الى إعادة النظر بسياستها المعادية لإيران سعياً الى هندسة سياسةٍ جديدة لحماية مصالحها وتقاسم النفوذ معها في المنطقة.

الرابعة: تهافت تقسيمات سايكس – بيكو مع اتجاه العراق وسورية والأردن لتعزيز التعاون السياسي والاقتصادي في ما بينها ببناء سوق مشتركة وصيغة كونفدرالية متطورة نحو نظام فدرالي شأن الاتحاد الأوروبي ما ينعكس بالضرورة على لبنان ويؤدي الى بروز ميزان جديد للقوى في الداخل وتوليف صيغة مدنية ديمقراطية لنظامه السياسي، وتكامل وطيد مع دول المشرق، وانحسار تبعية نظامه الجديد لدول الغرب الأطلسي.

الخامسة: تعزيز المساعي الحثيثة الهادفة الى تجاوز النظام العالمي الحالي بإقامة آخر متعدّد الأقطاب وأكثر توازناً ما يؤدي الى تعزيز الالتزام بميثاق حقوق الإنسان، وتوطيد السلام العالمي.

صفحةٌ من التاريخ تُطوى وأخرى تُفتح.

الثورة الإيرانية.. دلالات وعبر

نوال عباسي

يمثل إحياء الذكرى الخامسة والأربعين للثورة الإيرانية في هذا المنعرج الاستراتيجي الذي تشهده الأمة فرصة لاستخلاص الدروس والعبر وعدم الاكتفاء بمجرد سرد الأحداث على طريقة الحكواتية العالقين في أحد كهوف التاريخ.

الثورة الإيرانية يعتبرها كثيرون على أنها ثالث أبرز الثورات في التاريخ الحديث بعد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ (أول ثورة ليبرالية) والثورة البلشفية في روسيا عام ١٩١٧ (أول ثورة شيوعية في القرن العشرين). وبمرور الزمن ووضوح الرؤية أصبح الكثير من المفكرين والمؤرّخين يعتبرون الثورة الفرنسية والثورة البلشفية مؤامرة على فرنسا الكاثوليكية وعلى روسيا الاورثوذكسية كما أشار الى ذلك الرئيس بوتين في أكثر من مناسبة. واذا كنا لا نعتبر انّ التاريخ مؤامرة ولا ننكر أنّ المؤامرة جزء من التاريخ فيمكن القول إنّ الثورة الايرانية هي أيضاً مؤامرة حميدة جاءت مدجّجة بالعفوية الثورية ضدّ الهيمنة الصهيوأميركية على المنطقة. انقلاب استراتيجي وإعصار هبّ فجأة ليعكّر صفو الشرق المستكين .

هذه الثورة التي استغرقت سنوات لتنضج وتراكم الخبرة والمعرفة، انطلاقاً من حركة القائد القومي مصدق السيادية والذي أرسى أولى قواعد تأميم الثروة الوطنية مروراً بمحاضرات وفكر المعلم الثوري علي شريعتي الذي لم يكن حاله كحال أغلب نخبنا العربية، أيّ مجرد مقلّد

للغرب، فقد خرج من جلباب الاغتراب نحو «الاستغراب» حيث لم يقم باجترار أطروحات اليسار الماركسي بل فتح بصيرة مريديه على يسار متأصّل في ثقافتنا، يسار علي وأبي ذر الغفاري وصولاً الى طريقة المرشد الأعلى في التوليف بين الحداثة والدين ليس دين الكهنوت واهبي الجنة والارتماء في أحضان المذاهب المنحرفة التي تخدم أجندات الأعداء المتربّصين بل دين فطريّة منطق المقاومة.

من القائد القومي إلى المعلّم اليساري إلى المرشد الديني نجحت الثورة الإيرانية، بل وتفرّدت، في إرساء نموذج للمصالحة بين الجمهورية الديمقراطية والحكم التيوقراطي، بين قيم الحداثة وأصالة الهوية، بين اليسار واليمين، بين القومي والإسلامي، بين كلّ هذه الأطروحات التي كانت وما زالت تمثل بالنسبة لنا عوامل وأسباب تناحر وتنافر ولكنها كانت وقوداً مكّن إيران من بناء نظام سياسي متميّز يختلف هيكلياً عن الأنظمة السياسية الأخرى، إقليمياً ودولياً، بحيث باتت له هوية خاصة.

ولعلّ هذا ما جعل إيران تتمكن من مواجهة وتجاوز تحديات كبيرة وخطيرة طيلة العقود التي مضت ومن البقاء والصمود، وأكثر من ذلك، التحول الى قوة فاعلة ومؤثرة ليس في محيطها الإقليمي فحسب، وإنما في موازين القوى الدولي.

إضافة إلى هذا النظام الفريد في الحكم وإضافة إلى خصوصية المجتمع الإيراني بمكن أن نردّ نجاح الثورة الإيرانية وصمودها إلى ثلاث عوامل رئيسية:

- أولاً: مصداقية الشعارات، فهي ليست مجرد شعارات ممتلئة بالفراغ ومتعمّقة في السطحية أو مجرد عناوين لقوالب فكرية معلّبة منتهية الصلاحية ومستوردة من الغرب، بل هي ثوابت وطنية ودينية أفرزتها التجربة وتمّ تنزيلها على أرض الواقع وكانت البوصلة التي توجّه الممارسة السياسية.

- ثانياً: اعتناق روح الثورة ومنطق الدولة، تعزيز ثنائية الثورة والدولة والأهمّ الفصل بين مؤسساتهما، وفي كلّ مناسبةٍ كان تيار «الثورة» يفرض إيقاعه على تيار «الدولة»، لأنّ مشروعية «الثورة» مقدمةٌ على شرعية «الدولة»، وهي مشروعية ساهمت في ترسيخها مواد الدستور الإيراني التي اعتبرت أنّ مهمة الدولة تتمثل في استمرار الثورة الإسلامية. هذه الثنائية أوجدت مؤسسات ثورية مستقلة يعتمد الانتماء إليها والارتقاء في هياكلها على معايير مغايرة تماماً لتلك الخاضعة لحسابات السياسة وتطلعات السلطة مما جعلها عصيّة على الاختراق والتطويع.

- ثالثاً: قامت الثورة الإيرانية منذ البداية بتعريف المستعمر كمستعمر ووصفته بالشيطان الأكبر وكان ذلك منذ الإرهاصات الأولى حيث أصدر الخميني فتواه بتحريم العلاقة بين العالم الإسلامي والكيان الصهيوني سنة ١٩٦٧ وتواصل ذلك بعد نجاح الثورة ليؤكد أنّ فلسطين قضية محور الصراع، وهي في قلب إيران الثورة، وستبقى ثابتة راسخة بعيداً عن أيّ حسابات سياسية أو طائفية مذهبية أو عقائدية أو ايديولوجية وخاب السعي الذي قام به، وما زال، الحلف الغربي – الصهيوني لتحييد النخب عن القضية الأمّ.

عقل الثورة الإيرانية استوعب في وقت وجيز بعد إجهاض ثورة مصدّق أنّ الغرب الصهيوني عدو لكلّ مشروع سيادي نهضوي في المنطقة فجعل طرده أوّل خطواته ومقاومته أهمّ أولوياته.

كان المفكر مالك بن نبي يؤكد على أنّ الاصلاح والتجدّد الحضاري لا يتحقق إلا بتخليص الإنسان من رواسب القابلية للاستعمار، وبالتالي فالدعوة إلى أيّ فعل آخر مهما كان مقدساً كمن يدعو إلى الصلاة والبيت يحترق، ليس نباهة بل استحمار كما يقول شريعتي.

فهل سوف نستوعب الدروس ونستخلص العبر من روح الثورة ومنطق السياسة امّ أننا سنبقى نتدحرج من تعثّر الى انتكاسة.

هل يتوسع شعاع الحرب...؟

رنا العفيف

تريد الولايات المتحدة الأميركية فرض عقيدة بايدن في المنطقة عبر شنّ هجمات وحشية على سورية والعراق، وهي لا تقل همجية عما يمارسه الكيان الإسرائيلي الطفيلي على الفلسطينيين والغزاويين من خلال رسائل النار، فما المكاسب التي حققتها واشنطن بشن هجمات نارية على سورية والعراق؟

عدوان أميركي جديد ومتكرر على العراق وسورية في خضم حرب الإبادة الصهيونية على فلسطين المحتلة وقطاع غزة، لتظهر واشنطن بأقبح صورة بمختلف أشكالها وهي ترمي حممها على المقاومة التي تقاتل الاحتلال الأميركي دفاعاً عن قدسية وسيادة وحرمة أراضيها، ما يبدو بأن المشهد الحقيقي واضح بأن تقحم اميركا بنفسها إلى جانب ربيبتها «إسرائيل» في هذه المواجهة بشكل علني ووقح.

وهذا يعكس جانبا من الحقيقة السياسية التي تؤكد للعيان بأن الولايات المتحدة و«إسرائيل» ومن يقف معهما شركاء في سفك الدماء الفلسطينية على مرأى العالم العربي وبغطاء دولي لتصفية القضية، مع التعليق والإشارة إلى بيان البيت الأبيض وتصريح بايدن بقوله نحن لا نريد الحرب ولا نريد أن تتوسع رقعة الصراع! ولكن هذا العدوان يظهر قباحة الوجه الأميركي والغربي في دعمهم لـ «إسرائيل» في عدوانهم المستمر على غزة، كما يعكس أيضاً مدى التخبّط السياسي الأميركي بإيصاله رسائل نارية لمحور المقاومة التي تؤكد غليان الشرق الأوسط وتكشف المراوغة والتضليل والتدليس والكذب والخيانة الأميركية بعدم رغبتها بتوسيع الصراع في منطقة الشرق الأوسط،

وبالتالي لهذه المغامرة عواقب خطيرة نتيجة الأخطاء السياسية والاستراتيجية للولايات المتحدة، لما في ذلك من تهديد لأمن المنطقة برمتها، وذلك استناداً لما أكدته طهران وحزب اللّه وفصائل المقاومة بكل صنوفها وأشكالها بأن حتماً سيكون الرد على العدوان له عواقب وخيمة وارتدادات ضمن إطار طوفان الأقصى، والطوفان آتٍ بعد هذا العدوان

السافر وقد يجتاح منطقة الشرق الأوسط، وستكون له أشكال عدة لطالما أميركا اتخذت قرار شن ضرباتها الوحشية على كل من ينصر المظلومين ويقف إلى جانب الحق، وما يحصل من اعتداءات إسرائيلية وأميركية متكررة على سورية هو استكمال لما يجري في غزة للقضاء على عماد الأمة العربية وما تمثله سورية في معركة وحدة المصير التي تخوضها لدرء الخطر والأطماع عن الأمة العربية في ظل غياب العرب، لأنّ تماسك سورية ومحور المقاومة يرعب الاستعمار والصهيونية، لذلك فهي دائماً هدف لضربها بكل ما للاستعمار من ألاعيب وخدع وبطش.

على اعتبار واشنطن التي تتلعثم بالحديث عن الردع في مواجهة إيران أو الردع لأطراف محور المقاومة في المنطقة، إذ واضح تماماً بأن ما من مؤشرات لتحقيق أي نجاح في ردع إيران أو محور المقاومة من خلال عمليات المقاومة ضد قواعد الاحتلال الأميركي في سورية والعراق.

وبالتالي ما يجب أن تأخذه الولايات في حسابات السياسة الدقيقة هو أن بايدن الذي يتعرّض للانتقادات دخل عامه الانتخابي دون أن يحقق شيئاً من الأهداف حتى على مستوى الضربات أو التصعيد، لذلك فإنّ سياسة الاستعراض لا تجدي نفعاً مع بايدن وإدراته أو عصابته في المنطقة حيال الرسائل السياسية التي يعتقد ويزعم بعضهم أن لها دورا كبيرا بما يحاولون تحقيقه، أي تحاول واشنطن وحلفاؤها توجيه رسائل سياسية بعد العدوان الأميركي على العراق وسورية عبر تنفيذ هجمات وظهرت ردود فعل من المقاومة بشكل مباشر باستهداف القواعد الأميركية في التنف في حقل كونيكو وحقل العمر في سورية.

ما يشي بأن هذا سيؤثر على المفاوضات لطالما قبل العدوان كان هناك تحرك باتجاه هذا الأمر لرسم إطار جدولة للإنسحاب، وكان الطلب الأميركي أن توقف فصائل المقاومة عملياتها العسكرية ضد القواعد الأميركية على الأراضي العراقية كشرط للدخول إلى المفاوضات، ولكن قوبل هذا الأمر بالرفض، وأبلغت فصائل المقاومة ذلك عن طريق أحد زعماء السياسة عن طريق السفيرة الأميركية ورضخت واشنطن وسفيرتها لهذا الطلب، ومن ثم كان الشرط الوحيد لفصائل المقاومة بأن لا إيقاف للعمليات العسكرية ما لم تتوقف حرب الإبادة الجماعية في غزة.

وفي ما يتعلق بالشق السياسي في بيان واشنطن حول التنسيق قبل العدوان مع الحكومة العراقية التي نفت ذلك، يتبيّن أنّ الولايات تحاول زرع بث الفتنة من جديد لخلط الأوراق بين فصائل المقاومة وبين القوات الأمنية وبين الحكومة العراقية، وبذلك يكون البيان الأميركي سقط أخلاقياً ومنهجياً للمرة المليون في محاولة تضليل الحقائق للرأي العام الدولي والعراقي، لأنّ ما تم استهدافه في حقيقة الأمر هو مقر عسكري للقوات الأمنية العراقية وكان واضحا في البيان على أنّ ما تمّ استهدافه هو مقرات تابعة للحشد الشعبي في محافظة الأنبار وليس كما تدّعي واشنطن أنّ ما تمّ استهدافه مقار لفيلق القدس تابع للحرس الثوري الإيراني.

وبالتالي تكون واشنطن تمهّد لأمر ما للضغط على الحكومة العراقية وما نتج عنها من ردود فعل سياسية وعسكرية، قد يغيّر قواعد الاشتباك خلال الفترة المقبلة وتحديداً في ما يخص موقف فصائل المقاومة وما يليه من نوعية وطبيعة الموقع أو الاستهداف، بمعنى آخر من وجهة النظر العسكرية قد تلجأ المقاومة العراقية إلى أساليب جديدة ومتنوعة ومختلفة ومتطورة لإتخاذ قرار في هذا الإتجاه فيما إذا كان هناك مراجعة لقواعد الإشتباك، من هنا قد يتوسع شعاع الحرب لما فيها من خطر جسيم يحدق بأمن المنطقة بالتوازي أيضاً إلى الدور السوري في ما يجري وسط طبيعة المعركة الحاصلة، وهنا سيكون الوضع مختلفاً لأنّ جزءاً من هذه المعركة متعلق في الجغرافية السورية، وكانت سورية بطبيعة الحال منخرطة في فك الحصار عن دير الزور والوصول إلى نقطة التقاء الحدود السورية العراقية وربما هذا العدوان قد يكون مرتبطا بالمشروع القديم الذي سمعنا عنه قبل أشهر وقبل طوفان الأقصى،

أيّ الهدف من هذا العدوان هو نقل القوات الأميركية للسيطرة على الحدود السورية العراقية وقطع التواصل بينهما لمآرب شيطانية بمساعدة ومشاركة دول الجوار، وبالتالي هذا ليس بالأمر السهل وسيؤدّي إلى عاصفة الحزم العسكري في المواجهة المقبلة وقد نشهد تسخيناً على مستوى جبهات الإسناد على خلفية المتغيّرات الجديدة التي ستطرأ على الساحة...